التصور الإسلامي لمسألتي: الفن والجمال

The Islamic Perception of My Question: Art and Beauty

سعد عبد السلام[1]

تاريخ الاستلام: 2020/12/09 تاريخ القبول: 2022/04/14 تاريخ النشر: 2022/07/01

ملخص:

الجمال وما أدراك مالجمال؟ يكفي أن ربَّنا عزَّ وجل جميل يحب الجمال! خلَق هذا الكون وملأه جمالًا، ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾النمل: 88 ومَن نظر إلى جمال هذا الكون الفَسيح أدرِك أنَّ ما أعدَّه الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنَّة من جمال يفوق الوصفَ، ويقف عنده الإنسان منبهرًا مندهشًا، داعيًا ربَّه أن يكون من أهلها. فمحور المسألة يدور حول أن يدعي بعض المتوهّمين أن لا علاقة اللإسلام بالفن والجمال، لأن الإسلام في نظرهم يعاديهما، متخذين من مسلك غِلظة بعض المسلمين والمتصوفين اتجاه جماليات الحياة وزخارفها، وإدارتهم الظهر لآيات البهجة والزينة والجمال في الكون والحياة، ذريعة لإثبات خصومةٍ بين الإسلام وبين الفن والجمال. في حين أن للإسلام تصورا مغايرا لما زعمه هؤلاء، فالتربية الفنية الجمالية والارتقاء بالسلوك منطلقه وغايته توحيد الله تعالى؛ وما يسمى بالتربية الجمالية واقع عاشه المسلمون الأُوّل، حقيقةً لا وهمًا، وواقعًا لا خيالاً. وهدفنا بيان موقف الإسلام من مسألة الجمال وعلاقتها بالفنون، فما هي الادلة التي تمة نصوص وبراهين تبرز التصور الإسلامي لفلسفة الفن والجمال ؟.

كلمات مفتاحية: التصور الإسلامي، الجمال، التربية الفنية الجمالية، الدين، التربية الإسلامية.

Abstract:

Beauty What do you know about beauty? It is enough that our Lord Almighty is beautiful and loves beauty! He created this universe and filled it with beauty, "God is the One who perfected everything" (An-Naml: 88). her family. The focus of the issue revolves around the claim of some illusionists that Islam has nothing to do with art and beauty, because Islam in their view is hostile to them, taking the ruthless behavior of some Muslims and mystics towards the aesthetics and adornments of life, and their backsliding to the verses of joy, adornment and beauty in the universe

[1] جامعة: زيان عاشور، الجلفة، البريد الالكتروني [saadibnhazm@gmail.com].

and life, as a pretext to prove a rivalry between Islam and art. and beauty. While Islam has a different conception of what they claimed, the aesthetic artistic education and the upgrading of behavior is its starting point and its goal is the unification of God Almighty; What is called aesthetic education is a reality that the first Muslims lived through, a reality not an illusion, and a reality not an illusion. What is the position of Islam on the arts, and what are the Islamic texts that highlight an Islamic conception of the philosophy of beauty?

Keywords: *Islamic perception, beauty, aesthetic art education, religion, Islamic education.*

مقدمة: مضمون شبهة ووجهُ إبطالها :

أرغب في التنبيه إلى أنه نبتت في عصرنا هذا، نابتةٌ إفرنجيةُ العقل والعاطفة تفتحت ذهنيتها على مائدة الفكر الغربي بصوره المختلفة، فانبهرت ببريقه وسُحرت بسُعاره، فأصابها الشغف بأفكاره وفلسفاته، وأصيبت بالإمعية والتبعية الفكرية له، فتحكمت تلك المنظومة الغربية في خطاباتها، ونتيجة لذلك تسرّب إلى لاوعيها ما سيكون مسؤولا عن تكريس دونيتها، وفقدانها الثقة بنفسها؛ إنه شكل من أشكال الإنعكاس والانتكاس والارتكاس الفكري والعقدي الذي لا يمتُّ لمجتمعنا الإسلامي بصلة. ولقد تفتحت أعين وأذهان أبرز مفكري العرب المعاصرين، على هذا الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وعلى فلسفات الأنوار بصورها المختلفة، فأصابتهم لوثة الشغف بأفكارها، فتحكمت في خطاباتهم وكتاباتهم ورؤاهم، إلى حدّ صدْق المقولة عليهم:"الطائر الذي يولد في القفص يرى الطيران جريمة". ويدعي هؤلاء المتوهّمون أن لا علاقة للإسلام بالفن والجمال، بسبب ازدراء بعض المسلمين والمتصوفين لجماليات الحياة وزخارفها، وبما عبروا عنه بسلوكهم المتجهّم إزاء الفنون الجمالية، سبيلا للطعن في الإسلام، والدعوة إلى ضرورة الفصل بين الدين الإسلامي وقضايا الفن والجمال. وما أسهل أن تقمص هذا الخطاب صيغا أخرى متنوعة من السجالات والمقولات، التي تراوحت بين المتهافتة والأشد تهافتا، والتي ربطت إخفاقات بعض المسلمين، بقصور الاسلام عن تناول أطاريح الفن والجمال. ومع أن الذين وقفوا او يقفون موقفا متجهما من الجمال الحقيقي ومن الفنون الحقة، يديرون ظهورهم للشرع، ويغلقون قنوات استشعار ما في الكون من الجمال، ومن ثمة لا يستطيعون حتى لو أرادوا، أن يشكروا نعمة الله على هذا الجمال، ولا يستطيعون أن يقرروا نعمة الله التي أنعم بها على الانسان، أي هذا الجمال الذي خلقه الله وأفاضه على هذا الكون. إنها أزمة نفسية تعبر عن نفسها في صورة خطاب شرعي إنكفائي، يحضر كلما كان المسلمون أمام تحدي المواجهة وإثبات الذات. ويكون لزاما على رواد الأمة ورموزها، صياغة رؤية سليمة تتيح لها إحداث اختراق نوعي، في سديم العبث المخيم عليها مند عقود. لتتناسل الرؤى الفكرية السليمة، وتعيد لها ألَقها وإشعاعها، فتكون فاعلا حضاريا، تستأنف الأمة عبره مسيرتها ورسالتها؛ بل وتزيل عقدة الدونية المتجذرة في لاوعي ولا شعور، بعض الذين لم يتحرروا بعد من حالة الإنهزامية والقابلية للإغتراب.

إن شتى الطوائف العربية المنتسبة للفلسفات الغربية من: وضعية ووجودية وماركسية وشخصانية ونحوها... فيما بدا لي، لم تقُم بإنجاز أي مهمة تاريخية ولا فكرية ولا معرفية لمجتمعها، ولم تقدم أي حل عملي واضح لمعضلاته الفكرية والاجتماعية، فانعدم تأثيرها؛ بل كانت مثل الزبد، مجرد ترجمة لأفكار فلسفية لا تمتُّ

للمجتمع الإسلامي بصلة، فعبّرت عن انبهار وشغف مفكريها بتراث الغرب فلسفاته؛ وهو ما عبر عنه الفيلسوف زكي نجيب محمود بكل صدق وصراحة وموضوعية:« لم تكن قد أتيحت لي فرصة طويلة الأمد تمكنني من مطالعة صحائف تراثنا العربي -ولم يقل الإسلامي- على مهل، فأنا واحد من ألوف المثقفين العرب الذين تفتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى ظننا أنه الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، ولكن أخذتني صحوةٌ، فاستيقظت بعد أن فات أو أوشك... فطفقت أزدرد تراث آبائي...» (زكي نجيب محمود،1971 « تجديد الفكر العربي» القاهرة، دار الشروق، ص 5 -6).

الجمال والفن بين الدين والفلسفة:

لئن كان الفن لغة يفهمها العالم كله، تتيح للفرد التعبير عن ذاته، فإنها موهبة وهبها الله لجميع البشر بدرجاتٍ متفاوتة، يتضمّن عددا من المهارات، فيقوم الفنان بمحاولة تصوير الإيقاع الذي يتلقاه في حسه من حقائق الوجود في صورة جميلة موحية مؤثرة، ولعل أهميته تكمُن في إشباع حاجات الناس الجمالية عن طريق الإبداع الفني، بل ويمكنها جلب السعادة للإنسان بتعزيز القيم الإيجابية في نفوس الأفراد، والقُدرَةِ على إخراج أجمَلَ ما فِي داخِلِنا، لأنّ كُل إنسان لَديهِ ألم صامِت في داخله، والفَن وسيلة مِن وسائِل إخراجِ هذا الألم، وعلى هذا فإن أسمى مقصد للفن، هو ذاك العامل المشترك بينه وبين الدين والفلسفة. وإنّ مهمّته الأساسية هي إنجاز مصالحة بين ما هو روحي وما هو حسّي، عن طريق ما ينتجه من إبداعات جمالية، لذلك لم يعد الفصل بين الدين والفنّ على طريقة العقل التنويريّ وجيهاً؛ بل لابد من استطيقا لا فصل فيها بين الجمال الديني والجمال الفني الفلسفي، لأنّ كلاّ منهما يحمل رسالة ضرورية، فمنفعتهما في تمييز الحقائق مما سواها، والوقوف على البرهان الذي لايصح شيء إلا به، وفائدتهما تكمن في إصلاح أخلاق النفس وإدراك الفضائل، ولهذا فالفلسفة مكملة لرسالة لنبوة.(ابن حزم، 1987م "الرسائل" ط.2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(3/131-134) و(ابن حزم، 2002م "الفصل في الملل والأهواء والنحل" بيروت، دار إحياء التراث العربي (1/98-99).

فلقد اهتم الإنسان بالجمال منذ أن خلقه الله تعالى، وبث في قلبه حب كل شيء جميل، وبتطور البشرية تطورت نظرته إلى الجمال، متأثراً بانتماءاته الدينية والحضارية، وبمختلف السياقات الثقافية المتعددة؛ لأجل هذا، لا ينبغي لنا أن نغفل عن هذه المؤثرات في حياة الأفراد والمجتمعات؛ إلا أن التفكير في مسألة علاقة الدين وتمثّلاته الميتافيزيقية ومحاولة ربطه بمظاهر الفن والجمال، ينزلق دوماً وحتما للحديث عن مفاهيم أخرى، من قبِيل: الحريّة في الإبداع الفنّي، وحقّ الإختلاف والتعايش... وهو بحث في منطقة تتشعب في منطلقاتها وتعلقاتها، لأنها ذات أبعاد وأطراف متناقضة:المادي والروحي، الظاهر والباطن، النسبي والمطلق.

فنّ التذوق الجمالي عند المسلمين

اهتم المسلمون بالظاهرة الحسية للجمال، سواء عن طريق البصر والسمع و... والتزموا بالشرع في تعاملهم مع الجمال؛ فالله جميل يحب الجمال، والتدبر في حسن صنعته يعد من تمجيد الخالق وتسبيح بعظمته؛ ومن ثمة ارتبط مفهوم الجمال في الإسلام ارتباطاً وثيقاً بمقاصد الشريعة الإسلامية، ولمعرفة المعطيات التي يسبغها الدين الاسلامي بتمثلاته على الفن والجمال، وطريقة الربط التي يتبناها الفنان المسلم في أعماله الفنية

الجمالية، كان لابد من إدراك أن المنهج الإسلامي يجعل كل عمل للمسلم لونا من العبادة لله عز وجل:﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (سورة الأ نعام الآية 162)

والفن كأي لون من ألوان النشاط الإنساني، حكمه في الإسلام، أن حلاله حلال وحرامه حرام، ومعرفة قسميْ الشريعة: العبادات والمعاملات، مهمّ عند النظر في الفنون الجميلة؛ لأن الأصل في العبادات أن تكون وفق ما جاء به الشرع، فالأصل في العبادات أنها توقيفية، والأصل في المعاملات أنها مباحة ما لم تصادم أوتخالف ما جاء به الشرع الإسلامي، حتى ولو لم ينْزل بذلك وحي، فلا نبحث عن الحِلّ والحرمة انطلاقا من مجيئها في الشرع، وإنما انطلاقا من مصادمتها أو عدم مصادمتها للشرع، هذه قضية محسومة، أي أن الأصل في المعاملات الإباحة، ما لم يرد ما يغيّر هذا الحكم إلى الحرمة. فالفن كغيره من المعارف التي تنطبق عليها هذه القاعدة، إن كان موافقا للقيم الأخلاقية فهو مباح، وإن خالفها أصابه التحريم؛ فثمة فن وجمال يدخلان دائرة الحِلّ، بل يغدوان واجبين، وفن وجمال يدخلان ضمن دائرة الحرمة، ويغدوان أمراً مرذولاً.

وإذا كان الله عز وجل خالق هذا الجمال في هذا الكون، فلن يستطيع المسلم شكر نعمة الجمال التي أنعم الله بها عليه، إلا إذا تعامل مع هذا الجمال؛ بل إن ابتغاء الجمال والحسن في الأمور كافة من أعظم قاصد الشريعة. والمستقريء لكثير من النصوص والاحاديث النبوية يجد ذلك ظاهرا، وقد كان رسولناﷺ النموذج الجمالي الكامل المكتمل في كل شيء. ففي الحديث الصحيح عن ابنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"... إِنَّ اللَّهَ الله جميل يحب الجمال..." (مسلم بن الحجاج، 2006:" صحيح مسلم" الرياض، دار طيبة) .

فموضوع الجمال هو كل شيء جميل، سواء كان مشهدًا طبيعيا أو لوحة فنية أو بيتًا شعريا، وفي الحديث الصحيح:"إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ..." (الألباني ناصر الدين، 1995 "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها" الرياض، مكتبة المعارف (167/4). ومعناه أن لِلّه الجمال المطلق: جمال الذات والصفات والأفعال، فهو سبحانه جميلٌ: جميلٌ في ذاته، وجميلٌ في أسمائه وصفاته، فله الأسماءُ الحسنى وصفاتُ الكمال اللائقةِ به سبحانَه، وجميلٌ في أفعاله، ولا جمال أرفع وأعلى من جمال مَن خلَق الجمال، فكلُّ جمالٍ وكلُّ حسن يتلاشى مع جماله وحُسنه تعالى؛ وقد جمَع الجمالَ كله، فالجمال منه وإليه؛ جمالٌ لا تُحِيطه العقول ولا تُدرِكه الفهوم، ولا يمكن أنْ يصفه الواصفون، ومن محبَّة الله الجميل للجمال أنْ خلق الجمال في كونه ومخلوقاته، وأرضه وسمائه، وكل ما أبدعه الله وخلقَه فهو جميل، الله الذي أحسن خلْق كل شيء خلَقه، وإذا تكامل الجمال مع التربية الإسلامية، أضحت تربية جمالية. لهذا تكلم علماء المقاصد عن الضرورات والحاجيات والتحسينيات، يقول صاحب الموافقات":" تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: ضرورية ... حاجية... تحسينية..."(أبو إسحاق الشاطبي،1975 "الموافقات في أصول الشريعة" بيروت، دار المعرفة (3/2). فالتحسينية هي التي تجعل الافعال والأقوال حسنة، يقول الله تعالى:﴿ ومن أحْسَنُ قوْلا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (سورة فصلت الآية 32)

فالفن والجمال الإسلاميين داخلان ضمن هذه المقاصد التي تحفظ مصالح الدين والدنيا، ولذلك فان تحسين وتجميل الدين والنفس والنسل والمال والعقل، أمور مطلوبة ومقصود شرعا، ومرغوب فيها عقلا وطبعا، فمن حرّم زينة الله التي أخرج لعباده؛ بل إن الحسن والجمال أصل في خلق هذا الكون والوجود، لأن الله عز وجل أحسن وجمّل كل شيء خلقه، وصوّره في أبهى صورة، سيان في الدنيا أو الآخرة، قال تعالى:﴿ الله الذي أحسن كل

شيء خلقه﴾ (سورة السجدة الآية 6) فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، وهداها لمصالحها، هو الذي لا يمكن أن تقترح العقول فوق حسنه، وهو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، ومكابرة ومجاهرة بالكذب ادعاء خلافه.(عن معاني الآية السابقة ينظر مثلا: " تفسير السعدي"(ص507)" تفسير القرطبي"(90/14)"تفسير النسفي" (436/3) وابن تيمية:" مجموع الفتاوى"(512/8)"منهاج السنة النبوية"(3/ 142). والتدبر في حسن صنعته يعدّ تمجيدا وتوحيدا لله الخالق، وتسبيحا بعظمته، لذا دعا الخالق الجميل إلى النَّظر والتفكُّر في أسراره وبديع خلقه، قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾(سورة النحل الاية: 5-7)

قال الزمخشري في تفسيرها:« منّ الله بالتجمّل بها كما منّ بالإنتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها، لأن الرعيان إذا روّحوها بالعشي وسرّحوها بالغداة، زينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، آنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس.»(جار الله الزمخشري:" الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل" بيروت، دار إحياء التّراث العربي (2/ 555-556)

وفي سياق تفسير الآية ذاتها، قال سيد قطب:« جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة رائعة صحيحة سمينة، وفي الخيل والبغال والحمير تلبية للضرورة في الركوب وتلبية لحاسة الجمال في الزينة، وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة، فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب خيل، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان، وهنا إضافة بلاغية جميلة: وتقديم الإراحة على التسريح لأن الجمَال عند الإراحة أقوى وأبهج، لأنها تقبل حينئذ ملأى البطون حافلة الضروع، مرحة بمسرة الشبع، ومحبة الرجوع إلى منازلها من معاطن ومرابض.» (سيد قطب 1425هـ "في ظلال القرآن"، القاهرة، دار الشّروق (2161/4)

وإذا كان تأمُّل الجمال أمر طبيعي، فإن الفن بصُوَره المختلفة مرآة تعكس خلجات الرُّوح وألوان المشاعر، ومن ثمة وجب تعلُّم مهارةَ التأمُّل والتذوق الجمالي وتعليمه، لهذا لم يجعل الإسلام التأمُّل غاية ومطلبًا في ذاته، بل زاده شرفًا حين جعله وسيلة لأعظم غاية وأشرف مقصود، فتأمَّل جمال الصنعة الحسي والمعنوي من المنظور الإسلامي؛ ليبلغ أبهى صوره، وليدل صاحبه ويُذكِّره بعظَمة الصانع، ويَملأ قلب المتأمِّل توحيدًا وإجلالاً، وخضوعًا وحبًّا لمن خلَق فأبدع، وأحسن وجمّل كل شيء خلَقه، إجلال يملأ المتأمِّل حبًّا وتأدُّبًا مع الله عز وجل في اتِّباع ما أمَر، والبعد عما نهى عنه وزجَر، إجلالاً للمعبود يُصفي نيَّة العامل، فيتعبّد الله بعمله، ويرتقي به في مدارج الإحسان.

فتأمُّل الجمال حسًّا ومعنًى ليس أمرًا دخيلاً؛ بل هو من أصول هذا الدين، وكتاب ربّنا عز وجل مملوء بالحث على التعبُّد بالتأمل والنظر: أفلا ينظرون، أفلا يتفكرون، وزينة وجمالاً. فالجمال الكامن الذي أبدعه الله جلَّت قُدرته على كونه ومخلوقاته بصوره المختلفة، والمحيط بالإنسان في كل مكان وزمانٍ، هو من نِعَم الله التي غفل عنها؛ وإنما أوجده الله ليتأمَّله لانسان فينعمَ به وينشرحَ صدره وترتاح نفسه، وإن وجوده فيما لا نبصر منها،

كوجوده فيما نبصر، قال تعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾(سورة الحاقة، الآيتان 38- 39) فالقَسَم القرآني يؤكد عظمة الخلق فيهما، لافتاً النظر إليهما، فالجمال كامن فيما لا نبصر، كما هو موجود فيما نبصر. لأنه ليس مما يخضع لحاسة البصر التي نمتلكها في هذه الحياة،نوع سيظل مغيّباً عنا، ومن ذلك: الملائكة وما يحدث بعد الموت. ولن يتاح رؤية ذلك حتى يقال للإنسان:﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(سورة: ق، الآية 22)

إنها عوالم كونية كبيرة، بعضها نحتاج تصغيره آلاف المرات، وبعضها نحتاج تكبيره آلاف المرات، لكنها صنعة واحدة، الكبر الهائل والصغر اللامتناهي طرفاها لتبدو بذلك عظمة وجمال الخالق القادر؛ وإن تقدم علم الفضاء يسَّر لإنسان هذا العصر رؤيةَ مشاهدَ لم يحلم بها السابقون، فالتقطت صور لأبعد لأجرام السماوية وصور لأعمق المحيطات... لنتصوّر ذلك الجمال الذي كان محجوباً عنا، والذي كنا ولا نزال لا نبصره، ولكنه موجود.

فالجمال حقيقة هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، والطبيعة كتاب الله المفتوح، يفسر عملياً آيات الوحي المنزل؛ والفن الإسلامي فن يرسم صورة لها وللكون والحياة والإنسان من زاوية التصور الإسلامي، فهو تعبير جميل عن الكون والحياة والإنسان، بل إنه يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود. وعندما تقرأ القرآن ترى لوحات فنية تعبر عن قضايا مجردة، ويعرض هذه اللوحات الفنية الجميلة، لينمي الحاسة الفنية عند الذين يتدبرون هذا القرآن ويتفكرونه ويعقلونه، وقد أبدع سيد قطب في بيان ذلك في كتبه:"التصوير الفني في القرآن" و" في ظلال القرآن" و"مشاهد القيامة". وللقرآن الكريم جولات مع الطبيعة يعرض مشاهدها، ويلفت النظر لجمالها، داعيا إلى تأملها لأنها من صنع الله، لكن إعراض الفنان المسلم عن تقليد الطبيعة لأنه مسلم، والإسلام التزام، وهذا الالتزام يمنعه من استعمال كلمة الخَلْق، لأن عملية الخلق مما اختص الله تعالى به، فلا يصح أن تنسب إلى الإنسان، ولأنه لا يريد أن يضاهي خلق الله، حتى لا يكون في زمرة من يقال لهم:"... أحيُوا ما خلقتم..." ففي الصحيح الحديث المتفق عليه:" أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" وفي رواية:" إن أصحاب هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم..."(ابن الاثير، 2016، ط.3 " جامع الأصول في أحاديث الرسول" بيروت، دار ابن كثير(795/4).

فهل يقال بعدئذ أن القرأن الكريم، كتاب ينتقص من قيمة الفن والجمال ؟ وهل يمكن أن يخاصم هذا الدين الجمال والفن الجميل حقا ؟.

إن الفن الإسلامي بهذا المعنى توحيدي، تستشف أصوله من الإسلام ذاتِه، وتستقى مادته من الكون الرحيب؛ فلا يعترف بالأهواء وبالمسميات المستحدثة الغامضة، ولا يقبل مصطلحات الإنّيّة والكفرية، مثل الإختراع الفردي والخلق الفني والقول بالابتكار من العدم، والعبقرية الخالدة، والعمل الفني الأوحد؛ إلى غير ذلك من المصطلحات الفنية الشائنة المستهجنة القبيحة.

فالتصوُّر الفلسفي للفن والجمال الإسلامي ينتظم فيه ما هو إبداع قولي بالعملي، ويصل فيه النظري التجريدي بالصناعي والحرفي، وكل فن يتَّصِل بالكلمة وبالفعل معا، والنثر والشعر بالرسم، والخط والزخرفة المعمارية بشتى الصناعات على اختلاف أشكالها وأنواعها وأصنافها. فكل ذلك ينبع مِن نظرة الإسلام التوحيدية من

جانب، ونظرته الشمولية المتكاملة من جانب آخر؛ فالمادة والمحسوس، والروح والمجرد، وعالَمَا الغيب والشهادة، والإنسان والكون، موصول بالخالق العظيم، كل ذلك يتناغم وينسجم ويتكامل في تصور الفنان المسلم وفي إبداعه.

فإذا أدركنا ذلك؛ إذا أدركنا أن الفن هو محاولة البشر تصوير حقائق الوجود، من خلال انعكاسها في نفوسهم، في صورة موحية جميلة، وأن مكان الفنان والفن يتحدَّد بمدى المساحة التي تشملها الحقيقة التي يشير إليها العمل الفني، أو يرمز لها من كيان الكون، إذا أدركنا ذلك، فقد أدركنا في ذات الوقت أن الفن الذي يمكن أن ينبثق عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو أرفع فنٍّ نستطيع أن تنتجه البشرية. وإن فلسفة الجمال هي سر استمرارية هذا الكون، فسبحان الله على بديع خلقه وعظمة قدرته، إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني، إنما هو منشئ هذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة، ذاك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. وعنصر الجمال يبدو مقصوداً قصداً في تصميم هذا الكون وتنسيقه، ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى عن طريق جمالها، هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع الرائحة الخاصة التي تفوح، ووظيفة النحل والفراش بالقياس إلى الزهرة هي القيام بنقل اللقاح لتنشأ الثمار، وهكذا تؤدي الزهرة وظيفتها عن طريق جمالها.

التربية الجمالية الإسلامية:

إن القرآن الكريم يستنكر فعل أولئك الذين يحرمون اتخاذ الإنسان للزينة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (سورة الأعراف، الآية 32)

فالله سبحانه وتعالى أضاف الزينة في هذه الآية لنفسه، إضافة تشريف وتكريم، وهي تقرر مبدأ عاماً في المنهج الإسلامي، وهو أن التجمل فضيلة من الفضائل. ولا يكتفي القرآن الكريم بذلك، بل انه ليذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يجعل الجمال والقبح أو الطيّب والخبيث، علة للتحليل أو التحريم، نلمح هذا واضحاً في قوله تعالى واصفاً رسوله الكريم ﷺ ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 157)

فالآية واضحة المعنى والدلالة، إذ تشير إلى أن الطيّب علة التحليل، والخبيث علة التحريم، وما الخبيث إلا القبيح، وما الطيب إلا الجميل، ويتأكد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(سورة المائدة، الآية 90) وقوله تعالى:﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾(سورة الأنعام الآية145) فكلمة الرجس تعني القذر والنجس والقبيح، أي الوجه المقابل للجمال، وهي تشير بوضوح إلى علة التحريم. ألمْ يطلب القرآن الكريم من المسلمين ألّا يرفعوا أصواتهم لغير ضرورة ؟ ثم كان التعليل الإلهي لذلك هو القبح، قال تعالى:﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(سورة لقمان، الآية 19)

قضايا جمالية وردت في القرآن الكريم:

1-"الهجران والقطيعة بين الناس": حيث يشيح الإنسان بوجهه العبوس عمن هجرهم، لا يريد لقائهم ولا رؤيتهم، فيكون الخطاب إلى الرسول ﷺ بهذا الأسلوب الذي لا عهد للناس به:﴿ واصْبِر عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾(سورة المزمل، الآية 9) إن هذا الهجر ليس المراد منه القطيعة، وإنما الترك المؤقت الذي لا يكون سببًا في زيادة الجفاء؛ بل يكون مساعدًا على تصفية النفوس لعلها تكون أقدر على تقبل الدعوة؛ وبهذا تزول عن الهجر جفوته وقسوته وشدته، ويصبح هجرانًا هادفًا ليست غايته تأكيد القطيعة، بل يكسى الهجران ثوب الجمال، فالهجر الجميل هو الذي لا عتاب معه، ولا يشوبه أذى ولا شتم ولا غضب، ثوب لم يتح له الحصول عليه إلا في ظل التصور الإسلامي.

2-"التسريح": في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾(سورة الأحزاب، الآية 28) ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ (سورة الأحزاب، الآية 49) فالموضوع هنا يتعلق بإنهاء علاقة مهمة بين الرجل وزوجه، حيث الأصل فيها أن تقوم على الود والحب والرحمة، وإذا لم يتم هذا لسبب أو لآخر، فلا أقل من أن تكون نهاية هذه العلاقة هو التسريح الجميل.

3-"الصفح": في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(سورة الحِجْر، الآية85) والصفح هنا عفو وتنازل عن الحق، وإغضاء عن إساءات الآخرين، فلا حنق ولا حقد، وإنما حلم وسعة صدر.

إن هذه الآيات ركزت اهتمامها على الجانب المعنوي، فكان الجمال وصفًا للصبر والهجر والتسريح والصفح، وكلها أمور معنوية وإن كان لها آثارها المادية، فالإسلام حين اهتم بهذا الجانب من الإنسان، فإنما يلفت النظر إلى تقديم الجانب المعنوي على الجانب المادي، إذ به تتحقق إنسانية الإنسان، وهذه الآيات دعوة لتحقيق هذه الصفات في الإنسان، فيكون صبره جميلاً وهجره جميلاً. وهو سبحانه كما يحبّ الجمال في الأقوال والأفعال واللّباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثّياب والهيئة، فيبغض القبيح وأهله ويحبّ الجمال، جمال الباطن وجمال الظّاهر وأهلهما. (ابن قيم الجوزية، 1973 "الفوائد" بيروت، دار الكتب العلميَّة، ص 184)

فالجمال في البدن بإظهار نعمة الله عليه، في لباسه وتطهيره من الأنجاس والأوساخ، وبالختان وتقليم الأظفار، والوضوء والغسل والسّواك ومسّ الطّيب، والإدهان لتحقيق النّظافة، وكلّه يمثّل مظهراً لجمال الإنسان أو قبحه، وهو منهج إسلامي يعيد الإنسان إلى الفطرة. (محمد عمارة، 1991 "الإسلام والفنون الجميلة" القاهرة، دار الشّروق، (ص22) وأما جمال الباطن: فجمال الخُلُق بالصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل، والعفة وكظم الغيظ، وإرادة الخير والصّبر والصّفح، والعفّة والتّواضع والتوكّل...

ويؤكّد الغزاليّ أنّ الجمال الخالد هوالجمال المعنوي لأنّه لا يتغيّر عبر السّنين، أمّا جمال الشّكل فزائل بزوال أعضائه بالفناء أو بالتّغيّر الزّمني بقوله: "وليت شعري من يحبّ الشّافعي مثلاً، فلم يحبّه ولم يشاهد قطّ صورته، ولو شاهده ربّما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على إفراط الحبّ، هو لصورته الباطنة لا لصورته الظّاهرة؛ فإن صورته الظّاهرة قد انقلبت تراباً مع التّراب، وإنَّما يحبّه لصفاته الباطنة من الدّين والتَّقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدّين، وانتهاضه لإفادة علم الشَّرع، ولنشره هذه الخيرات في العالم، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلاَّ بنور البصيرة فأمَّا الحواسّ فقاصرة عنها." (أبو حامد الغزالي، 1426هـ 2005م " إحياء علوم الدين" بيروت، دار ابن حزم، (299/4)

وتأمل معي حال البيان النبوي للبلاغ القرآني، فرسول الله ﷺ يدعو في دعاء السفر، مستشعرا كل آيات الجمال في الكون، فيستعيذ بالله من من كآبة المنظر. (الحديث أخرجه مسلم في:" صحيحه"(998/2) برقم 1342) أليس في هذا تربية على استعمال المقاييس الجمالية، والاستعانة بالحس الجمالي؟ وهل يقال بعدئذ هذا كتاب يمكن أن يخاصم الجمال والفن الجميل ؟

مقاييس الجمال في الاسلام :

في ميدان التربية الجمالية يحدد لنا الاسلام مقاييس الجمال، وكيف لنا التأكد مما اذا كان حسنا الجمالي صحيحاً ؟. فالقرآن الكريم عوّل على الحس الجمالي كدليل، قال الله تبارك وتعالى:﴿... وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(سورة لقمان الآية 19) قال المفسرون: التشبيه بالحمير هنا يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم، فالقبح هنا علة للتحريم، وهكذا يعلل التحريم بالقبح، وهو تعليل بمقياس جمالي، وتدريب وتربية للمسلم من خلال النص القرآني أن يستعين بالمقياس الجمالي في إتيان الأشياء والأفعال والأقوال أو الابتعاد عنها. فالجمال مثلا في الصورة واللباس والهيئة على ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فاللباس إذا اتخذ للتجمل وإظهار نعمة الله وفي طاعة الله فهو محمود، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود، لكن إذا اتخذ بدافع الخيلاء والتعالي والفخر للدنيا فهو مذموم وقبيح. (ابن القيم:"الفوائد" بيروت، دار النفائس ص239-240).

والسؤال المطروح: إذا كان هذا هو البلاغ القرآني، أفرأيتم ديناً يجعل الجمال والقبح علة في التحليل والتحريم؟ الجواب: إنه الإسلام؛ ويحسب الجمال من آيات قدرة الله وسوابغ نعمته على عباده. لكن لا بد من معالم يرجع إليها هذا الحس، وتكون ضابطة له في حال انحرافه، لأن انعدام هذا الضابط في عالم الفن أدى إلى فساد عظيم في مفهوم الجمال، حتى أصبح القبح جمالاً، ووصل الفساد في الذوق الجمالي إلى درجة انعدام التمييز بين القبح والجمال، فإذا ارتبطت الفنون بالأخلاق كانت جميلة حقا، ومثلت قنوات لاستشعار ما في هذا الكون من آيات الجمال التي أبدعها الله تعالى، فإننا لا نتصور عاقلا يقيم خصومة بين الإسلام وبين الفنون. فالإسلام لا ينهى أن يحبّ الإنسان وجهاً جميلاً أو جسماً جميلاً وينجذب إليه، ولكنّه لا يبيح ذلك بشكل فوضوي، فالنّظام يقتضي أن يكون الطّريق للاستمتاع بالجمال هو الطّريق المشروع وحده؛ أما الفن في الإسلام فله طابعه الخاص الأصيل، وهو التوحيد، الذي يتسامى بالغرائز ويرتفع بالنفس والإنسانية إلى الكمال، دون أن يبتعد عن الواقع، ووسيلة الإسعاد الروحي والنفسي، يعرف بها المسلم قدرة الله وعظمته، ويزداد إيمانا. وذلك انتقالا من عالم المادة إلى عالم الفكر، فالتأمل من أوسع العوالم، والتفكر في خلق الله أعظم معطيات العقل والروح:﴿ ن والقلم وما يسطرون﴾(سورة القلم، الاية:1)

ولقد لفت نظري إلى هذا الميدان الواسع الرحب حيث تناول البحث القرآني الظاهرة الجمالية مبينا وجودها في ما نبصر وما لا نبصر على حد سواء، مؤكداً عظمة الخلق فيهما، لافتاً النظر إليهما، وإذن فإن الجمال كامن فيما لا نبصر، كما هو موجود فيما نبصر. وما لا نبصر نوع سيظل مغيباً عنا، لأنه ليس مما يخضع لحاسة البصر التي نمتلكها في هذه الحياة، ومن ذلك: الملائكة وما يحدث بعد الموت، ولن يتاح رؤية ذلك حتى يقال

للإنسان ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾" سورة ق، 22 ونوع مغيب عنا، إما لبعده، بحيث لا تمتد أبصارنا إليه، وإما لدقته وصغره المتناهي، بحيث يصعب على أبصارنا إدراكه. وهذا النوع قد تتاح رؤيته إذا وجدت الوسائل المقربة أو الموضحة والمكبرة؛ ومع تقدم العلم واختراع الوسائل، أمكن التعرف إلى شيء قليل قليل مما يحيط بنا. ولكن هذا الشيء القليل فيه الدلالة على الكثير. ونحن نحاول في استطلاع يسير، الوقوف على بعض المشاهد التي لم تكن ترى قبل هذا القرن، وأتيح لنا الآن مشاهدتها، ومع هذا فهي ما زالت في إطار قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأننا لا نبصرها بالعين المجردة.

فحب الجمال الأعلى يُبعد المؤمن عما دونه، وجمال الروح وصفاؤها ونقاؤها، مكسبٌ أعلى وأغلى من نظرة عابرة إلى جمال لم تتوفَّر شروط حِلّه، والكبر والمَخيلة وغَمْط الحق، قُبح لا يستقيم معه جمال، وجمال روح الصائم التقي النقي، لا يَكمُل إلا بترْك قول الزور والعمل به، وجمال الصيام والصدقة والعبادة، يزول ويَضمحل ويخبو حين يُزاحمه قُبح المعصية في قول فاحش وإيذاء جار وخصومة وغشٍّ وقطيعة رحِمٍ. "(محمد قطب: 1983م "منهج الفن الإسلامي" القاهرة، دار الشّروق، ص 95)

ضوابط وغايات التأمل الفني الجمالي الإسلامي

إن المفهوم الإسلامي للفن يقوم على استحالة التناقض مع الفطرة؛ فإذا كانت الفنون من الفطرة، وجب ألا تناقض أو تخالف دين الفطرة دين الإسلام في شيء، فإذا خالفت الفنون الدين في أصوله، جانبت الحق وأخطأت فطرة التي فطر الله الناس عليها، ودعت صراحة أو ضمنا إلى الرذيلة، فهي فنون باطلة. إن الشيء لا يكون جميلا إلا إذا كان أخلاقيا، هذا هو لب القضية، فإذا ارتبط الفن بمقاصد أخلاقية رضي عنه الإسلام وباركه، أما إذا تحوّل الفن إلى ألوان من الخنا والفسق والفجور، وإفساد الفطر السوية، وقطع الصلة بين الإنسان وربه، وبينه وبين المثل العليا، فلا يمكن أن يكون فنا جميلا؛ ثمة فرق شاسع بين الفساد الذي يخلع عليه أصحابه صفة الفن، وبين الفن الذي يهدف إلى تهذيب الأخلاق، ولا يقال عن دين: إنه يزدري الفن الجميل إذا كان الجمال من أسمى مطالبه ودعواته، لقد انفرد الإسلام بقبول نعمة الزينة والجمال الطيب وزجر من يحرّمهما.

وإذا كان أبرز سمات الفن اليوناني في الغرب بطابعه المادي الوثني يجعل الأولوية للتماثيل المجسمة إعجابا بالأجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة؛ فالإسلام لا يقر ولا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات، والتي تتعارض أصلا مع الإيمان بالله الواحد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التي تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات، وتقيم لها المهرجانات والطقوس، ولعل المفسدين من العَلمانيين ودعاة الفلسفات والمذاهب الوضعية الحديثة، يحاولون الجمع بين الفساد والفن على الرغم من الفارق الكبير بينهما. لقد كانت دعوة الفلسفة المادية إلى تحرير الفن إلى حد الإباحة، بمثابة رد فعل على موقف الكنيسة والقسيسين من مقاومتهم لحرية الفكر، فكانت تلك الاندفاعة التي أخرجت الفنان من ضوابط الأخلاق وقيم المجتمع، مما فتح الباب لموجة طاغية من موجات الإباحة في المجتمع، وكان ذلك متصلا أوثق الاتصال بالحضارة الإغريقية ومفهومها الإباحي المتحلل من القيم الدينية والضوابط الأخلاقية، في بيئة كانت مظاهرها وبواطنها وثنية. وهو جو تخلى فيه الأدباء عن الدين ويدعو إلى التحلل نشأت في مجتمع آلهته الوثنية شهوانيون مرتشون. وفي تاريخ البشرية آداب تعالج الجنس بقصد الإثارة، لكن الجديد الذي أحدثه التطور العلماني، هو إعطاء الشرعية لهذا الهبوط

الحيواني، وإعطاؤه صفة الفن، ووضع منتجيه في قائمة عظماء الفنانين، بل يتبجح نقاد فيبحثون لهم عن عظمات فنية وسط ذاك الماخور، إنها تستروح أنسام المستنقع الآسن الذي تعيش فيه وهكذا لم يعد أدب الجنس المكشوف قذارة يترفع عنها الفن، إنما صار الفن يتفنن في عرض مفاتنه، في تفصيل دقيق ومكشوف، ويعرض على أنه قاعدة الحياة وقمة الحياة، لا تقيده حدود، بل يسير حرا طليقا من كل تحديد ديني أو خلقي. ومن هنا كان للفنون دور في معركة الحضارة لا يقل شأنا عن دور العلوم، فهما الصنوان الرافدان للمعرفة، وهما في نهاية المطاف خلاصة إنجاز الإنسان على الأرض-حضارته-.

فالفكر الغربي حين يندفع في موجة الإباحية والتحلل، إنما يجد من مصادره وتاريخه وجذوره ما يؤصل له هذا الاتجاه، أما الفكر الإسلامي فأمره مختلف تماما، لقد كان مرتبطا طوال حلقات تاريخه بمقومات الدين الإسلامي وبقيم الأخلاق، إلا ما شذّ من بعض المتمسلمين الذي تأثروا بالفلسفات اليونانية والفارسية، وبالمذاهب الخارجة عن حقيقة الإسلام، أما الدعوات التغريبية الدخيلة على الفن الإسلامي فدعوات غربية؛ وليس هناك تعارض أصلا بين الإسلام والفن، وبين الفن والأخلاق، بل ثمة اتفاق تطابق وتداخل واستغراق بينهما، مثل ما بين الإسلام والعلم. وقد ارتقى الإسلام بالتربية الجمالية في جميع نشاطاته، جاعلا طرقا ووسائل وأساليب واضحة تتخذها الإدارة التعليمية لتنمية الحس الجمالي لدى المسلم، يتوصل من خلالها إدراك حقيقة الجمال، ومنها: مثلا: اللفظية، أي الكلام ومثاله ودليله قول الله تعالى:﴿ وقولوا للناس حُسْنا﴾ سورة البقرة، الآية 83) كما أن هناك التربية البصرية والحرَكية، والتربية الإنشائية الفكرية والتي وظيفتها: التوفيق بين الحواس والعقل وغيرها مما يطول شرحه.

إن الجمال يعطي الإنسان إحساساً بالرّاحة، وينمّي طاقاته ويجدّدها، ولذا راعى الإسلام هذه الحقيقة حينما تحدّث القرآن عن الجمال، ولفت نظر الإنسان إلى ما في موجودات الله من جمال وروعة، وتفنّن وإبداع، كدليل على قدرة الله تعالى وجماله وجلاله وكماله وعظمته ربوبية وألوهية؛ إذ الكون بكلّ ما فيه من تناسق وروعة وجمال يشكّل لوحة فنيّة أخّاذة بيد الإنسان إلى معرفة خالقه الحكيم الخبير، البديع المبدع، المصوّر الجليل الجميل... الّذي أتقن كلّ شيء خلقه وحسَّنه.

ولعل من أبرز خصائص التربية الجمالية في الإسلام: العموم والشمول، فهي تربية تستغرق كل من التزم بالإسلام، كما أنها تمتد عبر حياته كلها، وليست قاصرة على مرحلة من مراحل عمره، ثم إنّ الأحكام الفقهيّة المتعلّقة بحياة الإنسان في الإسلام تدلّ على مدى اهتمام الإسلام بالجمال، كأحكامه في الزّواج، واختيار الزّوجة، وفي الحجاب، وفي الطهارة عند الوضوء والغسل والسّواك وغيرها. وليس الجمال في الإسلام مقصوراً على الثّياب الحسنة،والطّيب، وحسن التّجمّ؛ بل إنّ الإسلام يراعي الجمال في المنطق والأدب والشّعر، في المضمون والشّكل جميعاً، وفي مناحي الحياة كلها:" قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده " وبذلك يتبيّن لنا أن لا خصومة بين الإسلام وبين الجمال، وأنّ الجمال من صنع الله وآياته تعالى الّتي أبدعها وأودعها في هذا الكون، وأنّ طلب الزّينة هو مقتضى الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، وأنّ إدارة الظهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال من الإنحراف السلوكي المنهي عنه، والشطط الذي يغلو فيه البعض، كالّذي يجعل من العبادة رهبانية، وهو ما ينكره الإسلام.

فالفن الإسلامي يرجع إلى صبغة العقيدة الإسلامية التي أُشربها كل فنان مسلم، فسكبت في عقله ووجدانه رؤية واحدة للكون والحياة، هي ذاتها الرؤية التي تنطبع في عقول ووجدان كل مسلم. ولقد هجر كثير من المسلمين الفن الإسلامي، حتى كادت مظاهره تختفي ومنابعه تجف، أمام سيل النموذج الغربي الوافد الهادر، الجالب بخيله ورجله، وهيله وهيلمانه، في ظل العولمة المتوحشة المرتدة. وهو ما يحتم على الفنان المسلم أن يعود بقوة إلى الفن الإسلامي الأصيل، مستلهما فلسفة الإسلام، فيستمد منها غاية عمله، ثم ينطلق في معركة البناء الحضاري مستوعبا تراث السابقين ونتاج المعاصرين استيعابا شاملا، ليفتح عوالم جديدة يثبت من خلالها عظمة الإسلام وعبقرية الفنان المسلم المعاصر، وقدرته على مواكبة عصره، مع تميزه في عطائه وأصالته في إنتاجه الإبداعي؛ ليعود بالفن إلى رحاب الإسلام، ملبيا رغبات المسلم الجمالية والروحية، ومؤسسا لفن إسلامي أصيل مؤسس على توحيد الله عز وجل، متناغما مع حاجات العصر، ومتفقا مع الفطرة الإنسانية السليمة، فيملأ الإحساس والوجدان بمحبة الله، ويشع بنوره الوهاج. ولئن كان الفن لغة يفهمها العالم كله، فإن أهميته تكمُن في تعزيز القيم الإيجابية في نفوس الأفراد، وإنّ مهمّته الأساسية هي إنجاز مصالحة بين ما هو روحي وما هو حسّي، لذلك لم يعد الفصل بين الدين والفنّ على طريقة العقل التنويريّ وجيهاً؛ أي استيطيقا لا فصل فيها بين الجمالي الديني والجمالي الفني، فكلاهما يحمل رسالة.

خاتمة:

تبين لنا أن الإسلام خطا بمسألة الجمال خطوات بعيدة المدى، فأوصلها إلى حيث لا يطرأ على أذهان الناس أن يصل إليه، وما ذاك إلا وضعًا للظاهرتين الجمالية والفنية في مكانهما المناسب، ولسنا أمام نص واحد، فالنصوص كثيرة. ولئن كان الفن نشاطا مباحا في نظر الإسلام، ما لم يطرأ ما يقيّد هذا الأصل بكراهة أو تحريم، فإن القرآن الكريم لفت الأنظار في آياته إلى ما في الكون من تناسق وإبداع وجمال، لذا لا يعقل أن يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلا، أما إذا تحول إلى ألوان من الخنا والفسق والفجور، فلا يمكن أن يكون فنا، فضلا عن أن يكون جميلا؛ لأنه ليس أخلاقيا، وما محاولة المفسدين الجمع بين الفن والفساد، إلا محاولة ظاهرة الفساد، خبيثة الأهداف؛ لكن ثمة صعوبة تكمن في إيجاد علاقة بين الفنّ والدين والجمال والتسامح، إذ أن التفكير في مسألة التسامح وفي علاقته بالدين والفنّ، ينزلق دوماً وحتما للحديث عن مفاهيم أخرى من قبيل: الحريّة والإختلاف والتعايش مع الآخرين واحترامهم، أو القول بحقّ الجميع في الإبداع الفنّ دون المساس بحرية الغير. فهو من حيث الحقل الدلالي يرسم مجالاً إشكاليّاً تتقاطعه مفاهيم عديدة، مثل: المحبّة والحريّة والاختلاف والعدالة والاعتراف بالآخر. فتتولّد في ثناياه أسئلة عديدة مثل: كيف يمكن توظيف الفنّ الاسلامي لإمكان نشر هذا الدين عقيدة وعبادة؟؟؟. ومن المقترحات التي أرغب في طرحها أن يتم الاهتمتم بتدريس مقياس الجمال في الفكر الاسلامي وأن تتم عرض القضايا الفنية والجمالية التي أبدع فيها مفكرو الاسلام ، خاصة أن جل المؤلفين والباحثين يتحدثون عن اسهامات الغربيين ، متجاهلين رواد هذا الفكر من المسلمين قديما وحديثا. وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مسرد المصادر والمراجع:

- ابن الاثير: " جامع الأصول في أحاديث الرسول" دار ابن كثير بيروت، ط.3 2016
- ابن حزم:"الرسائل" تحقيق:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1987م
- ابن حزم: "الفَصْلُ في الملل والأهواء والنحل" دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.2002م
- ابن القيم :"الفوائد" دار الكتب العلميَّة بيروت 1973
- الألباني "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها" مكتبة المعارف الرياض 1995
- الشاطبي: "الموافقات في أصول الشريعة" بيروت، دار المعرفة 1975
- أبو حامد الغزالي: " إحياء علوم الدين" دار ابن حزم بيروت، 2005م
- الزمخشري:" الكشاف عن حقائق غوامض الّتنزيل وعيون الأَقاويل في وجوه الّتأويل"إحياء الّتراث العربي، بيروت
- زكي نجيب محمود:" تجديد الفكر العربي" دار الشروق، القاهرة، 1971
- سيد قطب:" في ظلال القرآن " دار الشّروق، القاهرة، 1425 ه
- محمد عمارة :" الإسلام والفنون الجميلة " دار الشّروق، القاهرة، 1991
- محمد قطب:"منهج الفن الإسلامي" دار الشّروق، القاهرة، ط 1983 م
- مسلم بن الحجاج:" صحيح مسلم" الرياض، دار طيبة 2006